الحركة التعاونية في مصر

ومهمة التعاون المنزلى فيها

للدكتور إبراهيم رشاد بك

مدير التعاون

ثلاثون عاما مضت منذ قامت الحركة التعاونية فى مصر على يد رجل القانون والإصلاح عمر لطفى ، يناصره أبو الفلاح الأمير " حسين كامل " (السلطان حسين فيما بعد) . وفى خلال هذه الحقبة من الزمن صادفت الحركة نجاحا و إخفاقا ، تقدما وتأخرا ، إقبالا و إعراضا ، ولا شأن لنا الآن فى التعرض لسبب هذا أو ذاك .

على أننا نقول إن الحركة التعاونية المصرية مرت فى تلك المدة بأدوار ثلاثة :

الدور الأول هو الدور الشعبي الذى استمر من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩٢٣ ، والدور الثانى هو دور الحكومة من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٧ ، والدور الثالث هو الدور الحكومى الشعبي الذى بدأ من سنة ١٩٢٧ وما زلنا فيه حتى الآن . وسأقصر كلامى هنا على الدور الأخير الذى هو فى الواقع أكثر الأدوار الثلاثة بركة ، ففيه تضافرت جهود الأمة والحكومة فى إقامة صرح حركة تعاونية عامة ، احتلت مكانها بين الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية التى يعم نفعها الجميع .

وهناك عهود ارتبط بها الشعب والحكومة فأصبحا مسئولين معا مسئولية قومية عن الوصول بهذه الحركة إلى جادة النجاح ، أما هذه العهود فهى :

(أولا) إنشاء مجلس التعاون الأعلى ، وقد مثل فى عضويته مجلسا الشيوخ والنواب ورجال الاقتصاد والزراعة والمال والإدارة والتعاون ، يستشيره الوزير المختص فى وضع السياسة العليا للحركة .

(ثانيا) جعل الإدارة الحكومية المشرفة على الحركة التعاونية فى نظامها وروحها كأنها " اتحاد تعاونى " وثيق الصلة بالجمعيات وأعضائها ، يتبادل معهم الرأى فى كل ما يعود عليهم بالخير والمنفعة .

(ثالثا) اشتراك الحكومة والشعب فى تمويل الحركة بمعدل يزداد كل عام اقترابا من الأوضاع التعاونية الصحيحة ، بحيث لا يمضى وقت طويل حتى يكون للحركة بنكها التعاونى المركزى .

إن هذا التضامن بين الحكومة والشعب فى مصر الحديثة العهد بالأنظمة الديموقراطية الاقتصادية كالحركة التعاونية لهو أقوى كفيل بنجاحها ، فإن الشعب وحده فى حالته الحاضرة لا يقدر أن يستأثر بقيادة تلك الحركة ، والحكومة كذلك بأوضاعها البيروقراطية لا يمكنها أن تنفرد بتسيير التعاون الذى هو شعبى أصلا والشعبية منه بمثابة الروح من الجسد .

نشطت الحركة على هذا الوضع ، ونجحنا فى إيجاد ٨٠٠ جمعية تعاونية فى مختلف أنحاء البلاد يبلغ عدد أعضائها نحو ١٠٠,٠٠٠ عضو ، ورأس مالها المسهم المدفوع ٢٢٠,٠٠٠ جنيه ومالها الاحتياطى ٦٠,٠٠٠ جنيه ، وقيمة معاملاتها السنوية مليون جنيه .

غير أن العنصر الزراعى من هذه الحركة هو الغالب لدرجة أصبح معها التعاون وكأنه يسير على ساق واحدة بدلا من ساقين ، فوجب والحالة هذه أن نقومه بحيث يوازن جانبه الاستهلاكى جانبه الإنتاجى وكلاهما من الأهمية بمكان ، ومع أن السواد الأعظم من الأهالى يشتغل بالزراعة فإن الجميع مستهلكون وهؤلاء وأولئك محتاجون إلى خدمات التعاون الجليلة .

يتضرر الناس — وخصوصا ذوو الدخل المحدود — من غلاء المعيشة ، ويتلمس كثير من التجار أسبابا لجنى الأرباح الفادحة . ولولا يقظة الحكومة لأصبح الشعب تحت رحمتهم . ونحن لا ننسى ما قامت به الحكومة فى الحرب العظمى ثم فى هذه الحرب من عمل حاسم للضرب على أيدى الطامعين من التجار . غير أن تهالكهم على طلب الربح يدفعهم إلى التلاعب ، ويغريهم بالتحايل على الافلات من طائلة القانون ، مما يصعب معه أو يستحيل ضبط الأمور الضبط كله . ولو كان فى البلاد الكفاية من الجمعيات التعاونية المنزلية التى بلغت درجة محمودة من الانتشار والقوة لانتظمت الحالة من تلقاء نفسها ، لأن مهمة الجمعيات التعاونية هى أن تبقى الأسعار عامة فى المستوى العادل ولا تتعداه ، وبذلك يضطر الجميع بحكم أصول التجارة إلى التزام ذلك المستوى قدر الإمكان . ولست أقول هذا استنادا إلى نظريات اقتصادية أو خبرة أجنبية فحسب ، بل على خبرة البلاد نفسها فى خلال الحرب العظمى حيث كانت الجمعيات التعاونية المنزلية على قلة عددها أكبر عون لمصلحة التموين على أداء مهمتها ، ويؤيدنى كذلك الواقع الملموس فعندنا ٥٠ جمعية تعاونية منزلية قيمة معاملاتها نحو ١٥٠,٠٠٠ جنيه فى السنة وهى سائرة بنجاح مطرد ، والأمل معقود على تدعيمها والاكثار من أمثالها حتى يأتى يوم لا نعود نخشى فيه تسلط التجار على توريد حاجاتنا المعيشية ، وقد أجدت جمعياتنا

المنزلية القائمة نفعا كبيرا فى مكافحة الغلاء فى مناطق عملها ، وصارت توزد لأعضائها وللأهالى صنوف البقالة والخضر والفاكهة واللحوم والوقود والمنسوجات والجردوات . وقد ساهمت هذه الجمعيات كذلك بنصيب فى الناحية الاجتماعية فأقام بعضها أندية وملاعب للرياضة ، وأقامت جمعية الاسماعيلية مثلا دارا للسينما تعد أضخم دورها فى تلك المدينة ، فضلا عن مساهمتها جميعا فى مؤاساة المعوزين من أعضائها وأسرتهم .

إن مانطلبه من جمعية التعاون المنزلى لايعدو أن تكون بضائعها من النوع الذى ينطبق عليه المثل العامى القائل : " رخيص وكويس وابن ناس " أى معتدل السعر جيد النوع غير ناقص . وهذا بعينه الذى ينطبق على بضاعة التاجر الشريف البعيد النظر الذى يغار على سمعته ويحافظ على بقاء تجارته . ومثل هذا التاجر لايخاف من نزول جمعية التعاون إلى الميدان إلا بمقدار مايخشاه تاجر مثله ، ففى ميدان التجارة متسع للجميع .

وفى المدن التجارية الكبرى مثل مانشستر وغيرها من المدن الأوربية تجد العدد الوفير من المحال التجارية إلى جانب الجمعيات المنزلية ، وإنما يخشى التعاون ويخاف من مزاحمته ذلك التاجر الذى يعمد إلى الغش ، والذى يستغل الجمهور ، والذى يتحين الفرص للاستزادة من ربح غير مشروع .

ولقد ذكرت لكم طرفا من أعمال جمعياتنا المنزلية القائمة ، أما جمعية القاهرة فان البضائع التى ستقدمها ستشمل كل ماتحتاج إليه المنازل من مأكل وملبس وأدوات وأثاث ، وستتخذ لنفسها محلا مركزيا كبيرا وسط العاصمة ، وتفتح لها فروعا فى مختلف الأحياء حسب الحاجة إليها ، والمأمول أن يكون ذلك المحل المركزى وتلك المحال الفرعية بالغة الغاية من حسن النظام ، وجمال التنسيق ، وتيسير التوزيع بحيث تضارع أرقى المحال التجارية فى العاصمة .

وهنا استثنى من البضائع المنزلية التى توردها الجمعية الخمور بأنواعها ، فان المتفق عليه بين التعاونيين فى العالم أن تحجم الجمعيات عن اقتناء الخمور وتوريدها لما فيها من ضرر بالصحة والأخلاق ، ولأن فى توزيع " عائد " على شرائها تشجيعا خفيا على الإكثار من تناولها .

وهناك مبدآن أساسيان من مبادئ التعاون المنزلى سوف تتبعهما جمعية القاهرة ، ولن تحيد عنهما بحال : وهما البيع نقدا والبيع بسعر السوق ، أما الأول فلأن البيع بالأجل يفتح للأعضاء باب الاستدانة ، ويغريهم بشراء ما يزيد على حاجتهم الحقيقية ، وفى ذلك إرباك لحالتهم المالية ثم إرباك لمالية الجمعية فى النهاية . وأما البيع بسعر السوق فالحكمة فيه أن الجمعية لا ترمى الى مزاحمة التجار ولا تريد أن تدخل معهم فى مسابقة لخفض الأسعار إلى ما دون الحد المشروع ، على أن توزع فى ختام السنة "عائدا" على الأعضاء من صافى الربح بنسبة تعاملهم فتكون لهم بمثابة صندوق ادخار .

وإذا جاز لنا — جدلا — أن نغفل دور المرأة فى حركة عامة فلا يجوز ذلك فى حركة التعاون المنزلى بوجه خاص لأنها هى مدبرة البيت و " صاحبة الكرار " ، فاذا لم تكسبها الجمعية التعاونية المنزلية فقد ضاع عليها " زبون صقع " لا يعوض بحال . والذى يهمنا من عضويتها فى الجمعية قبل كل شىء أن تقصر معاملتها عليها حتى تستورد منها جميع حاجاتها المنزلية ، وتكون خير مرشد لها إلى البضائع المطلوبة . ولما كانت المرأة المصرية تقتحم الآن ميادين فى الحياة العامة وتثبت فيها شخصيتها وتبرهن على مقدرتها وكفاءتها ، فان دونها هذا الميدان الذى تجمع فيه بين الحياة العامة والحياة الخاصة ، فاذا صارت لها يد فى توجيه الجمعية التعاونية وأثر فى تقدمها ، فانها تكون قد أفادت أسرتها ، وعاونت زوجها بالاقتصاد فى نفقات المعيشة ، كما تنفع المجموع فى الوقت نفسه باشتراكها فى حركة عامة ذات أثر بالغ فى حياة الشعب بأجمعه .

ابراهيم رشاد

ما تنقضى حسرة منّى ولا جزع ... إلّا ذكرت شبابا ليس يرتجع
ما كنت أوفى شبابى كنه غرته ... حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

منصور النمرى

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
إذا أبصر الدنيا استهل كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يهدد

ابن الرومى